المشرق

عجائب بلاد موآب

وفقًا لما كتبهُ آخرًا الاب الدكتور موسيل (١

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيّة في الكتب الشرقيّ

بشّرنا قرّاءنا منذ عهد قريب (ص ٢٨٢) بخارطة بديعة رسم فيها الدكتور لويس موسيل البلاد الواقعة بين الاردن وبحيرة لوط وبحر القازم ومصر. وما كان هذا الاثر الّا توطئة لكتاب موسّع سرّنا صدور القسم الاوّل منهُ اليوم وقد ضمّنهُ المؤلف البارع رحلتهُ الى موآب مع وصف الامكنة التي تجوّل فيها قبل سنين قليلة فعرّف حزونها وبطونها وجبالها واوديتها وعيونها ومجاري مياهها ومعادنها وخصب تربتها وطرق مواصلاتها. فجمع في ٢٥ صفحة ادقّ المعلومات عن تلك الجهات التي تكرّر ذكرها في الاسفار المقدّسة بحيث يستطيع العلماء بعد مراجعة هذا النظر الاجمالي ان يقفوا على حقيقة الواقع ويقدّروا الامور قدرها

وبعد هذه المقدّمة تخطّى المؤلف الى ذكر السياحات المتعدّدة التي تولّاها بنفسهِ منذ السنة ١٨٩٦ الى السنة ١٩٠٢ تباعًا عامًا بعد عام لم ينقطع عن رحلهِ الّا السنة ١٨٩٩ وقد طاف مدّة اسفارهِ في تلك الاقطار فقطعها من كلّ وجوهها حتى انّنا لو اردنا أن نتعقّب آثارهُ بالتفصيل لعجزنا عن ذلك. فانّ الكاتب الفاضل يذكر رحلهُ متواصلةً بكلام وجيز مدقّق غاية في الضبط كلهُ معانٍ واوصاف مجرّدة عن كل حشو ولغط. ومع هذا لا تكاد تجد شيئًا من المعلومات قد فاتهُ من تعريف الاراضي وبيان الآثار القديمة ووصف اخلاق السكّان وغير ذلك ممّا يحيي في اعين القرّاء احوال تلك الاصقاع

(١ Moab : topographischer Reisebericht ; XXIII — 443 pp.

في كل اطوارها من مآثر كتابيَّة في عهد بني اسرائيل او آثار نصرانيَّة في القرون الاولى للميلاد او ابنية رومانيَّة وبوزنطيَّة وعربيَّة

ومما ابقاهُ الطور العربي قصور عجيبة تراها منتصبةً في قلب البادية توفَّق المؤلف الى اكتشافها (اطلب المشرق ١ : ٦٣٢) كقصر الطوبة (انظر الصورة) والحرَّاني وبالاخص تُصَيِّر عمرا الغريب البناء المزدان بتلك النقوش الزهيَّة والتصاوير العجيبة التي افاض الكتبة في بيان اصلها وغايتها فكثر بينهم القال والقيل دون أن يقرُّوا حتى الآن على رأي ثابت كما لم يتَّفقوا على تعريف قصر المشتَّى واصلهِ وبُناتهِ . وموقع تُصَيِّر عمرا على خطّ قصر المشتى يبعد عنهُ ٧٠ كيلو مترًا من جهة الشرق وهو في اواسط بادية قنرة

ومن يوجه نظرهُ الى هذين القصرين اي المشتَّى وتُصَيِّر عمرا يخطر على خلدهِ اصل فنّ البناء عند العرب. فان هذه الآثار قد عزاها البعض الى بني اميَّة لكنَّ غيرهم لا يوافقونهم في رأيهم ويرتأون انَّ قصر المشتَّى ليس هو لهم. والاجدر بهؤلاء ان يراجعوا

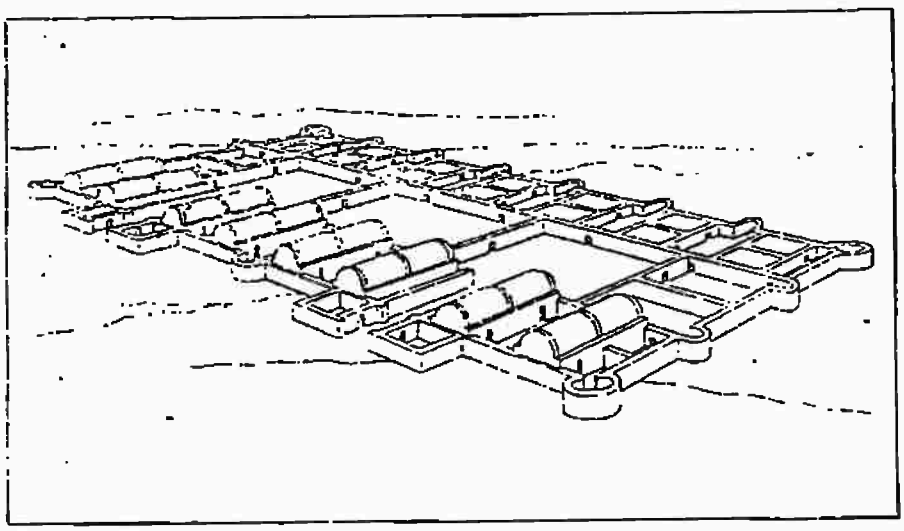

قصر طوبة ويمثل نظر ابنيتهِ سابقًا (عن احد رسوم الدكتور موسيل)

في كتاب الدكتور موسيل ما كتبهُ ليعارض بين ابنية المشتى وابنية قصر الطوبة وهو قصر طوبة ينسبونهُ غالباً الى الوليد الثاني. فانَّ بين الاثرين تشابهاً عظيماً في رسمهما وخواصّ بنائهما (اطلب كتابهُ ص ٢٠٠ الى ٢٠٤). وهذه المقايسة على ما نظنّ تزيد رجحان مذهب القائلين بانَّ المشتى من بناء الامويين

وما قيل عن قصر المشتى نقولهُ عن قصير عمرا الذي احسن الدكتور موسيل وصفهُ في هذا الكتاب فان بُناة هذا الازج عربٌ بلا مراء. وزتاي فوق ذلك انَّهُ لبني اميَّة ويسوقنا الى هذا القول انَّ الخلفاء الامويين اعتادوا ان يقضوا قسماً من سنتهم لاسيما الربيع في البادية (١ (الاغاني ٢ : ١٠٨) فكان يزيد بن معاوية يتبدَّى في بادية تدمر (٢ وعبد الملك بن مروان في جابية الجولان. وكذلك ذكر الكتبة «بادية» الوليد وسليمان اخيهِ (اغاني ٤ : ٦١ و٨ : ١٨٣). ويظهر من نصوص هؤلاء الكتبة انَّها كانت عادةً ألفها بنو اميَّة فينتقلون الى البرّيَّة كما يفعل اهل بيروت في فصل القيظ فيصطافون في الجبل. قالَ الطبريّ في تاريخهِ (٢ : ١٧٨٣ مع مراجعة ص ١٧٩٣) ومثلهُ ابو الفرج الاصبهاني (الاغاني ٦ : ١١٣): «خرج يزيد بن عبد الملك الى القرين مبتدئاً (والصواب متبدّياً) بهِ وكان هناك قصر لسعيد بن الخالد» وسعيد بن الخالد احد بني اميَّة فكان ابتنى لهُ قصراً في البادية على مثال الامراء الامويين

وفي بعض نصوص كتاب الاغاني (٤ : ٦١) انَّ سليمان كان اذا نزل البادية لا يسكن تحت الخيام بل في منزل مشيَّد. وكذلك وجد الدكتور موسيل آثار قصر باتر الذي كان يسكنهُ الوليد الثاني ابن يزيد وقد دعم حضرتهُ قولهُ باسانيد شتى لا تُبقي في صحّتهِ ريباً. وورد في الاغاني (٦ : ١٣٦) انَّ الوليد بن يزيد كان مقيماً في البادية «على بناء كان ابتناهُ في معسكرهِ يُشرف عليهِ». فترى من هذه النصوص وغيرها انَّ بلاد موآب كانت مشحونةً بقصور يحلُّها بنو اميَّة في ايَّام الربيع (الاغاني ٦ : ١١٣)

فكل هذه الشواهد تحدو بنا الى القول بان قصير عمرا كان ايضاً من منازل بني اميَّة في ايَّام الربيع ولعلَّ مشيّدهُ هو الوليد الاوَّل ابن عبد الملك ويؤيد ظنّنا انَّ الوليد

---

١) راجع الاغاني (٦ : ١١٣) في اسفل الصفحة

٢) اطلب في المشرق ذكر قصورهِ في حوّارين (٩ : ٥٦٩)

كان مولعاً بالبناء محبًّا للفنون الجميلة. وكذلك وُجد في هـذا القصر كتابات ونقوش تشير الى فتح الاندلس ومعلوم انَّ هذا الحادث من اعظم مفاخر الوليد قد اورثهُ مجدًا اثيلًا. ولو لم يُفدنا الدكتور موسيل من رحلتهِ غير هذه الافادة لنال بها شكرًا جميلًا

وليس هذا فضلهُ الوحيـد. فانهُ قد دوَّن جدولًا مطوَّلًا لعدَّة أعلام امكنة ورد ذكرها في الاسفار المنزلة ويرمز الى مواقعها اليوم. وان كان العلماء لا يوافقونهُ في كل المطابقات التي يشير اليها لا ريب انهم يعيرونهـا بالًا ويستندون اليها لترقي الجغرافيَّة الكتابيَّة. وهذا القول في الاعلام اليونانيَّة اخصُّ منـهُ في غيرها من الاسماء فمفسِّرو الكتاب المقدَّس ومخطِّطو الامكنة القديمة لا يمكنهم منذ الآن ان يضربوا الصفح عن النتائج التي احاط بها علم الدكتور موسيل

وقبل الختام ها نحن نعرض على المؤلف بعض ملحوظـات تبادرت الى ذهننا في اثناء مطالعة كتابهِ. قد ضبط حضرتهُ اسم مدينة أذرُح بضم الهمزة والصواب فتحها. ومما عرضهُ على العلماء (ص ٥٦—٥٧) ان مآب القديمـة هي محلَّة اللجُّون والمرَّجح عندي احد القولين اما ان تجعَل مآب في مقام الرَّبة وهو رأي ابي الفداء واما في موقع الكرك وهو قول خليل الظاهري. وخلاصة الكلام انَّ موقع مآب القديمـة لم يزل مجهولًا — وقد اصلح الدكتور موسيل رواية مغلوطـة لاسم « ابابين » فاجاد بقولهِ انَّ النون وضعت غلطًا بدلًا من الراء لكنَّهُ وَهِمَ بحذف الهمزة فكتب « بابير » والصواب « ابابير » كما ترى في بيت ابن ميَّادة (اغاني ٣: ١٠٨)

لعمرك اني نازل بابابين (بابابير) لصَوْأرَ مشتاقٌ وان كنت مكرما

وهنا للدكتور موسيل شاهد آخر عن الاغاني (١: ١٤٣) لكنني لم اجد النصَّ في مكانهِ. هذا ما عنَّ لي في خلال مراجعتي لهذا الكتاب النفيس الذي نحضُّ المستشرقين وطلبة الكتاب المقدَّس على درسهِ. ويجدون ما خلا هذه الفوائد ما يزيدهم رغبةً فيهِ كحسن طبعهِ واحكام صنعهِ مع ما يزيِّنهُ من التصاوير البالغ عددها المئتين بينهـا مناظر الامكنة وصور الآثار ورسوم هندسيَّة وكذلك قد أُلحق بجداول متقنة مستوفية

وخلاصة الكلام انَّنا كنَّا عهدنا بالدكتور موسيل رحَّالةً نشيطًا مقدامًا ورسَّامًا بارعًا وصاحب نظر ومراقبة. والكتاب الذي التحفنا بهِ زادنا اعتبارًا لشخصهِ الكريم اذ تحقَّقنا انهُ يُحسن تنظيم ما جمعهُ من المواد وما رصدهُ من الامكنة النازحة فاتانا بتأليف

من شأنه ان يقدّم الابحاث الفلسطينية تقدُّماً يُذكر فيُشكر. فانهُ هو الذي اطلعنا على عجائب مؤلَّف وما كان فيها من القصور والابنية الغريبة. وقد استحقّ بذلك ان يُنظَم في سلك بعض المسافرين الشهيرين كالرحّالة سِتْسن (Seetzen). وسنعود ان شاء الله الى ذكر قصير عمرا الذي خصّ بهِ الدكتور موسيل مجلداً منفرداً شحنهُ بالملحوظات الجديرة بالاعتبار. لكنّنا هذه المرّة اكتفينا باستلفات انظار القرّاء الى امر خطير اعني القصور التي ابتناها الامويّون في البادية. فانَّ ذكرها يفسّر نصوصاً متعدّدة وردت في كتاب الاغاني ويعرّف احوال العرب في قرنهم الاوّل للهجرة. فنكرّر تهانينا لحضرة المؤلف ونشكر مكتب ڤينة العلميّ الذي اخذ عليهِ نشر هذه الآثار الجليلة

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

التي ينشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

وقد غدت رسالتكم لاسقام قلبي شافية. ولاغتمام كربي نافية. ولاضطرام لَبي طافية. ولدوام الحب والوداد كافية. فاستنشقتُ من عبير عطرها ما اربى على الطيوب عرفاً. وارتشفت من غدير نشرها ما روّى ظمأ القلوب رشفاً. واغتنمت من اكسير تبرها ما يملأ الجيوب والاكفّا. وامتدحت منشئ عبير نشرها على هذا الاسلوب وصفا:

بحر الفصاحة والمقال الفلسفي ... بدر الملاحة والجمال اليوسفي
رب الظرافة واللطافة والبها ... أطروفة الدهر النديد الطارفِ
يا ايها المولى الجليل القدر وال ... عالي المقام وذا الحياة الاشرفِ
يا احسن الخلّاق الرضيّ الخُلق وال ... حسن السجايا بالقضاء المتصفِ
قد كنت اجمل ما ملكت من الرضى ... ومكارم الاخلاق والقلب الصفي
حتى بدا لي منكَ فعلٌ لم أرَ ... هُ قط الّا في العزيز اليوسفي
فلذاك اشكر فضلكم وجليل تلك ... م النعمة الحسنى التي لم تختفِ
بك لا برحتَ مواظب الصفح الذي ... عنهُ تنال الصفح يوم الموقفِ

وقد حمدناه تعالى على صحة سلامتكم التي هي غاية المراد والمطلوب. وبنية القصد والمرغوب. وقد فرحنا الفرح الشديد. والسرور الزائد الاكيد. الذي ما عليهِ من مزيد. الأهنأ من ليالي العيد. لاسيما عند ما شاهدت رقة خطابكم وعذوبة عتابكم الذي